



عمرسان عبداللطيف

## جانحو اليوم .. مجرمو الغد!!

في إحدى المدارس الأمريكية وفي الدقائق الأخيرة للعام الدراسي الحالي أخرج أحد الطلاب مسدساً من جيبه وأطلق النار على أستاذه الذي فارق الحياة بعد أن سقط مضرراً بدمائه وسط التلاميذ الذين لا تزيد أعمارهم عن خمسة عشر عاماً.. وهذه الجريمة هي واحدة من سلسلة الجرائم التي تشهدها المدارس الأمريكية والتي كان آخرها قيام تلميذ بإطلاق النار على زميلته التلميذة فأرداها صريعة، وقبلها قيام طالب آخر في مدرسة أخرى بإطلاق الرصاص من مسدسه بشكل عشوائي على زملائه الطلاب في ساحة المدرسة فقتل من قتل وأصاب بجروح من أصاب.

ولو أن طالباً في إحدى المدارس العربية أساء لواحد من مدرسيه لقامت الدنيا ولم تقعد.. ولأصبحت هذه الإساءة عدواناً تجعل منه وسائل الإعلام زادا في تحقيقاتها ودراساتها الاجتماعية والنفسية للتعرف من الخبراء والمختصين على حالة هذا الطالب التي ربما تؤكد إدارة المدرسة أهمية عرض صاحبها على أحد المستشفيات أو المصحات النفسية أو ربما على إحدى دور الملاحظة الاجتماعية المختصة برعاية الأحداث المنحرفين من أجل إصلاح هذا الطالب المنحرف.. ليس هذا فحسب بل إن هذا العدوان لا يلبث أن تنتشر أصداؤه انتشار النار في الهشيم فتصبح فعلته الشنعاء متداولة على السنة الجميع ممن يعتبرونه شاذاً خارجاً على التقاليد والأعراف وربما تكال الشتائم لأهله لأنهم لم يحسنوا تربيته.

وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا الصدد: ما سر هذا التهويل الإعلامي والاجتماعي إزاء هذا التصرف الأحمق من طالب تعمد الإساءة إلى مدرسه «مع سبق الإصرار والترصد»؟ الإجابة على ذلك واضحة ومعروفة، وهي أن مردّ هذا التهويل راجع إلى أن مجتمعاتنا العربية لم تألف في مدارسها مثل هذا السلوك ولم تتعود على مثل هذه الانحرافات، ولم تتقبل مثل هذه التصرفات.. وهذا يعكس نعمة الأمن الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية والتماسك الاجتماعي الذي تتحلى به، وهي نعمٌ تعزّز في الغالبية العظمى من المجتمعات، فإذا كانت هذه السمة الإجرامية هي حال بعض الأطفال في المجتمعات الغربية، فما هي حالهم في ريعان الشباب؟ الإجابة عن ذلك يوضحها علماء الاجتماع الذين يؤكدون بأن «جانح اليوم هو مجرم الغد». لكن ثمة حقيقة ينبغي التأكيد عليها وهي أن الأحداث الجانحين في بلادنا العربية لا يقارنون بأي حال من الأحوال بالأحداث الجانحين في بلاد الغرب ذلك أن حدة هذا الجنوح مهما كانت لدى الأحداث في بلادنا العربية المسلمة تظل بسيطة مقارنة بتلك الحدة الخطيرة في المجتمعات الغربية. ولقد دلت الدراسات والتحقيقات الصحفية التي قامت بها «الأمن والحياة» في وقت سابق على أن دور الملاحظة في أي بلد من بلادنا العربية لم تشهد وجود حدث جانح بهذا المستوى الإجرامي الذي شهدته المدرسة الأمريكية المذكورة ومثيلاتها في مدارس الغرب. وأخيراً فإنه ينبغي التأكيد على أن هؤلاء الطلاب الذين يرتكبون مثل هذه الأعمال الإجرامية الكبيرة وهم في هذا السن المبكر سيتركبون أعمالاً إجرامية أكبر وأخطر مع مرور الزمن. ■